الشيء القديم

— ١ —

انا الذي نزحت امس
امس البعيد
انا الذي نزحت فوق قرص شمس
تخشى الصعود
شردت عاما بعد عام بعد عام
وعدت كالغريب
مضيعا يمتصني الغروب
انزف .. استرحم ظلي السحيق
ولا اقول : يا صحاب يا احباء الطريق !
ما كان ان اشكو ، لكن ...
يعرف الانسان في الغربة معنى ان يهون
ان يخصب الارحام عنوة ...
وان يحمل عبء ان يكون من يكون
ويرفع القناع عن زيف الحياه
بل يستطيع ان يكون كالاله
لم استطع
اجل .. وعدت كالغريب كالغريب
الحد ضوءا ما ارتفع
وما سطع

— ٢ —

هناك في تلك المدينة التي احكي لكم حكايتي
فيها .. هناك
مدينة هي الهلاك
رأيتهم
يضرمون الارض نارا فوق نار
فقلت : لا احسب ان الارض كانت للدمار
النور ما زال يمد فوقها رواقه .. حتى النهار
يرضع ثدي الاخضرار
منها فتورق الحجار

**

لن أدعي اني استطعت ان اقول كلمتي
وحكمتي
لعله الدخان
لعله الضجيج والرياح
لعل صوتي خانه الصباح
فقد دفنت في الظلام
بغير رؤيا ...
وبكف تلقط الجوهر من وسط الركام
يا اخوتي
ما يصنعون بالذي تسمل عيناه وتسفيه الظلال ؟
وحدي مشيت كالخيال ...
كالخيال !

— ٣ —

ولم ازل اسير .. لم ازل اسير
في مجهل القفار
وغربة الديار
دقات قلبي اعيني
ارى متاهات الطريق
بها ، وابكي ...
ها هنا ارض الظلام
قلت لاهلها : اسمعوا
بعودة الطير الذي ينقر اضلاع النجوم
يلقم ضوء الشمس
سوف تجيء بشريات بالصباح
مع الرياح
اليوم ليس مثل امس
قد مات امس

**

ما كان ان اقول .. كلمتي ذوت على الاذن
كل اذن
وعرشت على العقول بالذبول
يا ويحه — قالوا — اسلبوه عقله وتوجوه بالجنون
اعمى يزين الحياة في العيون !

— ٤ —

وكنت زرت مرة ارض القمر
وقع خطاي رفة مثل الوتر
ومقلتاي ومضة بين الضلوع
كأن ساقي طيور حلقت ذات ربيع
تفتق السوسن .. تنقر الزهر
ما ضحكة الغدران والحقول
ما اغنيات النور ...
ما هذا القمر
اعطى ويدري انه اعطى الدرر !
وحين جاءت لم اكن اقول الا يا ربيع
ايا ربيع يا حبيب الورد ...

قلبي كالربيع
ويا ربيع لا تدع كلماتي البيضاء كالصدى تضيع
ويا ربيع من ينام .. دونه صدري وصدرك الوساد
فلا سهاد
قم يا ربيع صف خمرتي لهم
واملألهم كئوسهم

**

وحدثتني عن شقائها بحب
من لا يحب
لانه من غير قلب
وحدثتني عن نبوءة الفداء
حيث نزلت يرفع القربان نبضا ...
ودمـا ...
نياط خانق غريب
يا انت قومي قدمي القربان انني الفداء
اليوم والرؤيا تموج في دمي اطمع ان يكون حب
لكل قلب

**

وفي الصباح لم اجدها ...
كنت وحدي في السهوب
وعندما خطوت اثرها عثرت فوق قلبي السليب
ولم يكن فيه وجيب

— ٥ —

والعالم المجنون — او لعلي المجنون —
نزلته وكان طائر الشجن
ينعب في صدر المنون
على القنن !
هلم يا انت .. وانتم زاحموا هذي القمم
ستعرفون من هناك من قضى
ومن مضى
على ندم
انا اقول برعموا ثرى الحياه
وبللوا كل الشفاه
باغنيات تمسح الاحقاد من فوق الجباه
فلا الم
سمعت ان بالمحبة الرءوم لا نموت
وان من يولد في الليل يربيه الصباح
سمعت هذا ...
وسمعت اننا نملك حق ان نعيش كالرياح
هنا نحط في ارتياح وهناك نلتقي
وحيث شئنا ننطلق
سمعت يا احبتي ان التعيس والشقي
من يحترق
وهو يشق دربه على الافق
كنت اقول حين كان طائري على القنن
ينعب في جنون
فصرخوا : من حط فوق ارضنا
من دق بابنا .. ومن
ينذرنا نذر المحن
يا اخوتي انا .. انا
انا الذي صنعتي التفكير والكلام
اعطيكم السلام
بحكمتي
قالوا : فدقوا فوق سمعيه ...
الشقي من يقول قد سمعت ، ثم يلغو بالجنون
لا تدعوه ، قد تعبنا ...
من سواه ارهق النفس وارق العيون

— ٦ —

وعدت كالغريب
انا اخوكم .. انا الشيء القديم
مضيعا يمتصني الغروب
هيهات .. هيهات اكون
ما كنت امس ، عدت شيئا لا يكون
لا ادعي — اجل — بان كلمتي صوى طريق
لدى خطي الانسام فوقها ...
وفي اعماقها
صوت سحيق !
هيهات .. هل من يستعيد القلب ...
لي ، ويوقد الجفن الذي اظلم في تيه السنين
اليس يهتز ضمير الغيب ...
عن نجم اسير
او عن سكون صامت يدرج في قلب السواد
وربما انشق دثار الصبح ...
عن شمس بلا وهج ونور
وعل واحدا يقول : ناسك ...
او عابد ...
او ملك من السماء
او عله الشيطان من قلب الجحيم
شق الفضاء
ينفث ما ينفث حقدا وسموم
لا .. اخوتي
انا شقيقكم انا الشيء القديم
وان اكن بلا تخوم
ابحث عن نضارتي وحكمتي
عاد الغريب ...
عاد حتى يلتقي
بمن يروي بالدموع قبره تحت الرسوم

القاهرة — احمد كمال زكي